م1: مفاهيم أولية

م2: المنهج

تمهيد:

مما لا شك فيه أن الولوج إلى عالم المناهج النقدية الغربية، يستدعي منّا بداية ضبط الجهاز المفاهيمي الخاص بها، حيث يجب أن نخوض في مجموعة من التعريفات المتعلقة بأهم المصطلحات التي يدور في إطارها الموضوع عامة، وهذا من أجل إزالة أي لبس قد يعترضنا ونحن نخوض في الموضوع.

1ــ المنهج:

لغة: ورد في "القاموس المحيط" في مادة "نهج": "النهج: الطريق الواضح، كالمنهَج والمنهاج، وبالتحريك: البهر، وتتابع النّفس، والفعل: كفرح وضرب. وأنهج: وضح وأوضح، و–الدّابّة: سار عليها حتى انبهرت، و–الثوب: أخلقه، كنهجه، كمنعه. ونهج الثوب، مثلّثة الهاء: بلي، كأنهج. ونهج، كمنع: وضح وأوضح، و–الطريق: سلكه. واستنهج الطريق: صار نهجا، كأنهج، و–فلان سبيل فلان: سلك مسلكه"[1].

اصطلاحا: هو "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[2].

---

[1] : مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، ط1، القاهرة، مصر، 2008، ص1656.

[2] : عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة، مصر، 1977، ص5.

ليصبح المنهج بهذا الطرح سبيلا للبحث عن الحقيقة، حيث يجب أن يتزاوج ما هو علمي وما هو عقلي لبلوغها.

2ــ النقد:

لغة: "النّقد: خلاف النسيئة، تمييز الدراهم وغيرها، كالتنقاد والانتقاد والتنقّد، وإعطاء النقد...، وانتقد الدراهم: قبضها"[1].

اصطلاحا: يرى عبد المالك مرتاض أن النقد هو "اللغة الواصفة، أو لغة اللغة (Metalangage) "[2]، ما يعني أن النقد هو تلك اللغة الثانية التي تتخذ من اللغة الأولى (الإبداعية) موضوعا لها.

ولا شك أن للنقد غاية يسعى إلى تحقيقها، ألا وهي "اهتداء السبيل إلى حقيقة النص، بتعبير فلسفيّ، أو إلى فهمه بتعبير التأويلية الغادامیرية، أو إلى تفسيره بمصطلح علماء التفسير...، فالغاية من النقد تختلف باختلاف الاتجاهات الفنية، والتيارات الفكرية..."[3]، فهذه الغاية وإن اختلفت إلا أنها تبقى في حدود النص، أي أن النقد يستهدف النص مهما كان طابعه.

إذا خلصنا إلى أن النقد بمفهومه العام هو هذا الذي أشرنا إليه، فإنه سيبقى بهذا الطرح غير محدود وغير مضبوط بطريقة تجعله أكثر تنظيما، ذلك أنه سيبقى أيضا غير مقيد بسبيل معين يقوده نحو الهدف الأساسي الذي يهدف إلى تحقيقه، ما لم يرتبط بمنهج يقوده.

---

[1]: مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص1640.

[2] : عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2010، ص49.

[3] : المرجع نفسه، ص51.

وهنا بالضبط ينبغي أن نخوض في قضية "المنهج النقدي"، التي تجعلنا نجمع بين مصطلحين "المنهج" و"النقد". يقدم حميد لحمداني تعريفا للمنهج النقدي، فيقول: إن "المنهج هو حصول الرؤية المنسجمة التي أشرنا إلى أنها تجيب عن الأسئلة الأساسية..."[1]، ما يعني أن المنهج النقدي، هو السبيل الضامن لتحقيق نقد أدبي تتحقق فيه صفة الانسجام بين الأفكار التي يطرحها هذا النقد.

3ــ بأي منهج؟

نتأكد مرة أخرى، بعد هذا الخوض في جل هذه المصطلحات، أن كل بحث يجب أن يعتمد على منهج نقدي، أي أن على الباحث أن يهتدي بمنهج نقدي يؤطر به بحثه ويرسم به معالم الطريق أثناء عملية البحث ويمدّه بالآلية اللازمة لذلك، لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن: بأي منهج؟ وبصيغة أخرى، كيف نختار المنهج الملائم؟

يجب بداية أن نكون على يقين تام أن الظاهرة المراد دراستها هنا هي الظاهرة الأدبية، وهي "من أكثر الظواهر الإنسانية تعقيدا، فهي تتركب من عوامل ومؤشرات شتى"[2]، تجعلها فريدة من نوعها، وهو الأمر الذي يجعل من اختيار المنهج أمرا مهما، يسمح لصاحبه بلوغ أكبر قدر من النتائج. وهنا بالضبط نؤكد أن كل المناهج النقدية تسعى إلى مقاربة النص الأدبي ولا مجال للمفاضلة بينها، إذ إن كل منهج نقدي يضيء النص الأدبي من زاوية معينة، لكن المنهج الذي ينبغي الاعتماد عليه، هو ذلك الذي يتناسب مع طبيعة موضوع البحث، والذي يرى الباحث أنه سيمنحه إضاءة أفضل للنص الأدبي المدروس. نستنتج إذن

---

[1] : حميد لحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة آنفو برانت، ط3، فاس، المغرب، 2014، ص18.

[2] : الربيعي بن سلامة: الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2014، ص16.

أن على الباحث أن يحيط علما بالمناهج النقدية من جهة، وأن يكون له الباع في الظاهرة الأدبية وخصوصياتها من جهة أخرى، كي يوفّق في اختيار المنهج المناسب للبحث.